كلية دار العلوم
قسم البلاغة والنقد الأدبي
والأدب المقارن

توظيف المكان في شعر الحنين خلال القرن الرابع الهجري

رسالة ماجستير

مقدمة من الطالب
محمد فضل أحمد عيسى
إشراف
الأستاذ الدكتور/ السعيد الباز
الأستاذ بقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

1434هـ ـــ2013م

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

شكر وتقدير

" الحمد لله رب العالمين " آية افتتح الله بها كتابه المبين؛ ليعلمنا أن الشكر أول علامة على الطريق المستقيم، وأنه سمة من سمات المؤمنين، فالحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وبعد؛

فإنه صحَّ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "م ن لا يشكر الناس لا يشكر الله" ، ومن هذا المنطلق أجد لزاما علىَّ ، ودَينا في عنقي يجب الوفاء به، أن أتقدم بخالص الشكر، وأسمى آيات العرفان إلى جميع أساتذتي الذين شرفت بتلقي العلم على أيديهم، وأخص بالذكر أستاذي الجليل.

الأستاذ الدكتور/ السعيد الباز

لتقبله أولاً الإشراف على رسالتي، وثانيًا لسعة صدري على ما بدر مني من أسئلة لا تنقطع طوال فترة البحث، وتعجز الكلمات عن التعبير عن فضله ؛ ولقد منَّ الله بهعليَّ ناصحا ومعلما، وعلى رسالتي مشرفا موجِّها فأخرجها من العدم إلى الوجود ، ومن عالم الغيب إلى عالم الشهود.

كما أتقدم بخالص الشكر وأسمى آيات العرفان إلى:

الأستاذ الدكتور / سعد أبو الرضا والأستاذ الدكتور / حسن طبل

أدين لهما بالامتنان والعرفان بالجميل لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة والحكم عليها، كما أتوجه بخالص الشكر لكل من قدم لي عونا أو إرشادا أو نصحا.

والله الموفق والهادي إلى صراط مستقيم

المقدمة

مُقَدِّمَة

إن المكان يمثل الإطار الذي تدور فيه أحداث الحياة حلوها ومرها ، وهو المحور العاطفي في شعر الحنين الذي تندفع إليه عاطفة الشاعر فهو منزل المحبوب ومهد الصِبا، وهو الديار التي يحن إليها الشاعر في دروب رحيله ومهبط غربته ، وهو المكان المقدس الذي ينجذب إليه قلب الشاعر بحكم العاطفة الدينية. " وحين يفتقد العمل الأدبي المكانية فهو يفتقد خصوصيته، ومن ثمَّ أصالته. إن هناك تجربة ثبتت في الشعر العربي على مدى طويل، حتى اعتبرت مجرد تقليد شكلي وهي البكاء على الأطلال فماهي العناصر الثابتة في ذلك الموقف (البكاء على الأطلال) إنها أولا المرور على مساكن الطفولة ثم التذكر ثانيا، والشاعر هنا يتذكر الجانب الجميل من الذكرى" (1)

وإذا كان الحنين موضوعا وتجربة ضاربا بجذوره في أعماق الكيان الإنساني؛ فإنه على مستوى التعبير والتجربة الشعرية ضارب بجذوره في الأدب.

ويميل الإنسان بطبعه إلى أماكن معينة نشأ وتربى فيها، وكلما استعاد ذاكرته وارتسمت في مخيلته صورها أحس بجاذبية وحنين نحوها؛ لذلك نجد كل إنسان يعتز بمكان نشأته وخاصة طفولته، ويعتز بوطنه الذي تربى في أحضانه. كما يُلاحظ أن كثيرًا من الأدباء لم يتحدثوا عن تاريخ بلادهم إلا من خلال أماكن معينة كان لها عظيم الأثر في شخصيتهم، ودور ريادي فعال في رسم ملامح بلادهم. والمكان " يثير إحساسًا بالمواطنة، وإحساسًا آخر بالزمن والمحلية، حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه، فقد حمله بعض النقاد تاريخ بلادهم ومطامح شخوصهم فكان: واقعًا ورمزًا، شرائح وقطاعات مدنًا وقرى، كيانًا نتلمسه ونراه أو كيانًا مبنيًا في المخيلة " ( )

(Ï) جاستون باشلار، جماليات المكان: ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية، ط4، بيروت 1996م ، ص10

( ) ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، ط 1 بغداد، 1986م، ص 8

ومن الناحية الفنية يتداخل عنصر المكان في نسيج البناء الشعري ؛ فالوعي بالمكان هو الذي يحدد طبيعة الصورة الشعرية والسمات الخاصة بها.

وعلى الجانب الدلالي يكتسب عنصر المكان في الشعر دلالات ثرية من الناحية النفسية والاجتماعية والإنسانية.

وتحاول هذه الدراسة أن ترصد الجانب الجمالي للمكان في شعر الحنين خلال القرن الرابع الهجري:

فتتناول أولا مفهوم المكان: لغة واصطلاحا وفلسفة ، وتعريفه عند النقاد والباحثين العرب والأجانب ، ثم علاقته بالحنين، وعلاقته بالشخصية، وعلاقته بالزمان والفرق بين الفضاء والمكان وأشكاله ووظائفه ، ثم تتناول الجانب العاطفي لعنصر المكان ثم الجانب الفني والدلالي، فأسأل الله أن يوفقني ويهديني سواء السبيل.

أسباب اختيار الموضوع:

الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع ما يلي:

1- ما لاحظته على مختلف القراءات النقدية بتعدد اتجاهاتها أنها أولت اهتماماتها بتوضيح صورة المكان في النصوص النثرية كالرواية والقصة والمسرحية، وأهملت دراسة المكان في الشعر إلا نادرا، وإذا كان الشعر يوصف بأنه فن زماني، فإنه لا يخلو من عنصر المكان، ومن المغالطة اعتبار المكان مقصورا على هذه الفنون السالفة الذكر. والمكان في الشعر ليس مكررا ولا ثابتا كما قيل عنه؛ بل يستجيب للعدسة الشعرية الخاصة بكل شاعر، فلكل شاعر رؤيته ووجهة نظره الخاصة به.

2- رغبتي الشديدة في دراسة المكان، وإبراز قيمه الفكرية والجمالية وبخاصة ما يتعلق بمواطن الحنين لدى الشعراء الذين تحدثوا في أشعارهم ودواوينهم عن كثير من الأماكن التي كان لها عظيم الأثر في نفوسهم، نظرا لما للمكان من دور في حياة البشر بصفة عامة، وحياة الأدباء بصفة خاصة.

3- أهمية المكان حيث يقوم بدور مهم في حياة المجتمعات البشرية، ويعد ركيزة أساسية عند الحديث عن الأوطان وتاريخ البلاد ومواطن الحنين والذكرى، كما أنه يمثل طريقا كبيرا من طرق الكسب والعمل، ووجها عظيما من وجوه المعاش، ومحوراً تدور حوله الحركة الاقتصادية؛ إذ إنه يرتبط بأنواع الأنشطة الأخرى.

4- ما ألاحظه عند تَعَرُّض الأساتذة والأدباء والكُتاب لتحليل النصوص الشعرية من عدم تسليط الضوء بشكل كافٍ على الأماكن التي ترد في النصوص وتحليلها بوضوح كتحليلهم اللُغوي للمرادفات والمعاني الأخرى.

5- محدودية الكتب والأبحاث التي تتناول دراسة المكان وتوظيفه وجمالياته، وخاصة في ميدان الشعر العربي.

6- إن القرن الرابع الهجري ازدهر فيه الشعرواتسعت دائرته ؛ فقد ضم كوكبة من أبرز الأسماء في الشعر العربي ، أليس هذا القرن الذي ضم: المتنبي وأبا فراس الحمداني وأبا العلاء المعري والشريف الرضي ، والشريف المرتضي ، والسري الرفاء وأبا الفتح البستي ، والصنوبري . (Ï)

(Ï) لمزيد من شعراء القرن الرابع الهجري يراجع " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر " ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، ط ا بيروت ، لبنان ، الجزء الثاني ، 1403هـ . 1983م . وقد ذكر عددا هائلا من الشعراء وقطعا من إنتاجهم.

الدراسات السابقة :

بعد كثرة البحث والاطلاع، لم أعثر على دراسات بعينها تخص شعراء القرن الرابع الهجري؛ نظرا لكثرتهم العددية من ناحية، ولأن أغلب الباحثين يختار شاعرا بعينه ليكون موضع البحث والدراسة؛ وإنما وجدت دراسة عن:

1- الاغتراب في شعر المتنبي (أ)

وقد تناول فيها الباحث المتنبي باعتباره واحدا من شعراء القرن الرابع الهجري وتحدث فيها عن التعريف بالمتنبي حياته وشعره وثقافته، ثم تناول الأسباب التى دعت المتنبي إلى الاغتراب، ثم الشكوى عنده، حيث تمثلث في:

- **شكوى المتنبي من الغربة، وكثرة الترحال .**

- **شكوى المتنبي من الحبس والأسر:**

حيث سجن المتنبي سنة (322هـ)، وقضى في الأسر عامين عاني فيها الشاعر مرارات الأسر وقسوته.

- **شكوى المتنبي من الزمان، والناس والشعراء:**

حيث استقر به المقام في رحاب سيف الدولة الحمداني ، وتنفس هواء الاستقرار وشعر بطعم الراحة ، وأخذ ينشد سيفياته، ويرافقه في حروبه ذاكرا مناقبه . بعد كل هذا طغى عليه شعراء آخرون في نفس البلاط ، وقد كان هدفهم في ذلك التشهيروإبراز العيوب سعيا وراء إفساد ما بين الأمير وشاعره .

- **شكوى المتنبي من الفقر، وقلة ذات اليد :**

حيث شهد القرن الرابع الهجري موجة من الفقر ؛ نتيجة للتناقض الحاد بين أفراد المجتمع ، وقد أسهم في ذلك الوضع الاقتصادي العام ، حيث ظهرت طبقة فقيرة معدمة تمثل شريحة كبيرة في المجتمع . وتعالت أنات الفقراء والمعدمين ؛ نظرا لما ضم هذا القرن

(أ) رسالة ماجستير مسجلة في كلية الآداب جامعة القاهرة، إعداد: جوزيف شكري مظلوم، وإشراف د يوسف خليف، عام 1998.

من تمزق في جسد الأمة العربية الإسلامية وتسلط الدخلاء عليها ، كما إن حياة المتنبي في صباه تعكس أموره المادية ، حيث كان يعمل والده سقاءً يبيع الماء كما كان مدح المتنبي للملوك من أجل الحصول على مكاسب ماليه، ومما يؤكد ذلك قوله :

أبا المِسْكِ هل في الكأسِ فَضْلٌ أنالُه فإنّي أُغَنّي منذُ حينٍ وَتَش رَبُ

وَهَبْتَ على مِق دارِ كَ فّيْ زَمَانِنَا وَنَفسِي على مِقدارِ كَفّيكَ تطلُبُ

إذا لم تَن طْ بي ضَيْعَةً أوْ ولايَ ةً فَجُودُكَ يَكسُوني وَشُغْلُكَ يسلبُ ( )

- شكوى المتنبي من الموت والكِبَر:

فهو مؤمن أن الموت " آت " لا محالة ، والكَيِّسُ الذي لا بغتر بالدنيا ، فهي تفرق إذا جمعت يقول المتنبي :

نَبْكي على الدّنْيا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمُ الدّنْيا فَلَمْ يَتَفَرّقُوا

أيْنَ الأكاسِرَةُ الجَبابِرَةُ الأُلى كَنَزُوا الكُنُوزَ فَما بَقينَ وَلا بَقوا

فَالمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفائِسٌ وَالمُسْتَعِزُّ بِمَا لَدَيْهِ الأَحْمَقُ ( )

وتكون اللذات والسرور باعثا على الألم والحزن ، حين يوقن صاحبها أنها منتقلة عنه يقول أيضا :

غدَرْتَ يا مَوْتُ كم أفنَيتَ من عددٍ بمَنْ أصَبْتَ وكم أسكَتَّ من لجَبِ ( )

- شكوى المتنبي من المرض :

وتتمثل في شكواه من مرض " الحُمَّى " بمصر عام (348) هـ ، وضح فيها كثيرا من الآلام والشكوى واختزل فيها كل الأسقام ، ولقد بذل لها المفارش والأغطية ، فأبت النوم إلا في عظامه يقول :

بَذَلْتُ لهَا المَطَارِفَ وَالحَشَايَا فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ في عِظامي

يَضِيقُ الجِلْدُ عَنْ نَفَسي وَعَنْها فَتُوسِعُهُ بِأنْوَاعِ السّقَام ( )

(ï) المتنبي ، ديوانه ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري ، ط1، دار المعرفه، بيروت 1978م ، ج1، ص 306

( ) نفسه ، ص 75

(Ñ) نفسه ، ص101

(Ò) نفسه ، ص 267

كما تناول الباحث فيها أسباب ذيوع شعر الغربة متمثلة في:

- الرحلة .

- الاعتقال والإبعاد .

- التهجير عن أرض الوطن.

2- **<u>جماليات المكان في شعر الحنين</u>** " دراسة في نماذج مختارة من كتاب المنازل والديار لأسامة بن منقذ 488- 584 هجرية " .[1]

وتحدث فيها الباحث عن أسامة بن منقذ حيث قسم المؤلف كتابه ستة عشر فصلا ، فالفصل الأول في ذكر المنازل ، والفصل الثاني في ذكر الديار ، وجعل فصلا للأوطان ، وفصلا للمدن ، وفصلا للبلاد ، وجعل آخر فصول الكتاب في بكاء الأهل والإخوان ، ويبدأ كل فصل غالبا بما يجده مناسبا له من آيات الذكر الحكيم يردفه بتفسيرها من المأثور ، وقد يورد بعد ذلك ما يناسبه من الحديث الشريف إن وجد ، ثم يفيض من مختاراته الشعرية ، ويفسر أحيانا المعنى اللغوي للفظ ، الذي جعله عنوانا للفصل ، كما فعل في فصل الديار ، وفصل الآثار . [2]

ويقول مؤلف الكتاب عن دافعه لتأليف هذا الكتاب ، يقول : " والذي دفعني لتأليف المنازل والديار ما نال بلادي وأوطاني من الدمار، فإن الزمان جر عليه ذيله ، وصرف إلى تعفيتها حوله وحِيَله ، فأصبحت كأن لم تغن بالأمس ، موحشة العرصات بعد الأنس ... ولقد وقفت عليها بعد ما أصابها ما أصابها ، وهي أول أرض مس جلدي ترابها ." [3]

([1]) رسالة دكتوراه مسجله في معهد البحوث والدراسات العربية بقسم البحوث والدراسات الأدبية ، إعداد عبد السلام مخزوم مفتاح الشيماوي، إشراف د. محمد عبد المطلب أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب- جامعة عين شمس ، 2008م

([2]) أسامة بن منقذ ، المنازل والديار ، تحقيق مصطفى حجازي ، القاهرة ، 1994

([3]) نفسه ، المقدمة ، ص 7

ولقد جمع المؤلف مادة غزيرة من الشعر الذي قالته العرب في المنازل والديار والرسوم والأطلال، ولاسيما مقدمات القصائد التي تبدأ معظمها بهذا الموضوع ، ولقد أورد المؤلف أشعارا لنفسه ولبعض أفراد أسرته في الحنين إلى الربوع والمنازل .

وتحدث الباحث في رسالته عن **التعريف بأسامة بن منقذ :**

-حياته وشعره وثقافته .

- النكبات التي حلت ببلاده في القرن الخامس الهجري . وكان لها عظيم الأثر في تأليف كتابه ، ومدى ثراء الكِتاب بذكر المدن والبلاد .

- حنين أسامه بن منقذ إلى بلاده وبكاء الأهل والإخوان .

- العلاقة بين المكان وقول الشعر :

حيث توجد صلة قوية تجمع الشاعر والمكان والشعرعند العرب ، وكثيرا ما استعان الشاعر العربي بالمكان على قول الشعر ، فاستعان بالمكان في أحواله العادية كالمنافسات الشعرية ، وكثير من الشعراء حينما يصعب عليهم قول الشعر يذهبون إلى الرباع المخيلة والرياض المعشبة .

كما اختار الباحث أماكن محددة ، مما ورد في اختيارات أسامة بن منقذ ، وبما تدل عليه مفردات اللغة بشكل مباشر ، ويقصد إليها الشاعر ، لا بما توحي به كالبيوت والطلل والوطن ...، لأن كتاب ابن منقذ مبني على هذا الأساس . (٢)

(Î) قد يرى البعض أنه يوجد تشابه كبير بين الرسالتين ؛ ولكن التشابه قائم في تعريف المصطلح بشكل عام وهذا موجود في كل المعاجم كتعريف المكان لغة واصطلاحا – وأي بحث عن المكان يقوم بتعريف المصطلحات– ولكن ابن منقذ في القرن الخامس الهجري ، وبحثي في القرن الرابع الهجري ، كما أن رسالته تقتصر على ابن منقذ ، وأنا لم أتطرق لابن منقذ ؛ وإنما دراستي عن المتنبي ، وأبي فراس الحمداني ، وأبي العلاء المعري ، والسري الرفاء ، والشريف الرضي ، والشريف المرتضي ، كما أن لكل باحث ومشرفيه أساليب معينة في الآداء والرؤية ووجهات النظر . بالإضافة إلى أن بحثي انقسم إلى أماكن طاردة كالسجن والصحراء وأماكن جاذبة : كالبان ونجد والأماكن المقدسة ، أما بحثه فخلاف ذلك . فهو عن ابن منقذ فقط . كما أن مصطلح جماليات : مصطلح فلسفي ، أما الوظائف– في بحثي – فهي التي تتمثل في الوظيفة الآمنة ، والوظيفة الاغترابية ، والوظيفة الارتباطية .

المراجع المساعدة:

١ إشكالية المكان في النص الأدبي:

تأليف ياسين النصير، وهو لم يعتمد منهجا معينًا في هذا الكتاب، كما يعد من أوائل من تحدثوا في هذا المجال؛ حيث يؤكد ذلك بقوله:" أنا أبحث بأظافري الخاصة طريقا لم أجد أي علامة دالة عليه " (Ï)

ويهدف في دراسته إلى طبيعة المرحلة التي جعلته ينتصر لعلاقة التاريخ بالمكان ويتحدث عن طبيعة الروايات العراقية المدروسة في فترة الستينيات، ويتهم الكُتاب العراقيين – في هذا الوقت – بعدم التغلغل إلى جوهر العلاقة بين الروايات والمكان

ونجده يقارن في كتابه بين المكان في الواقع والمكان في الفن بقوله:" يبقى المكان في العمل الفني جزءًا من البناء الروائي، أما المكان على الأرض فهو جزء من كيان آخر، والعلاقة بين الاثنين لا تعكسها الكلمات ولا المسميات؛ بل تعكسها تلك اللغة المشتركة، وذلك الإحساس الدفين..." ( )؛ بذلك نجده يركز على روح المكان ودلالته وليس على المكان في حد ذاته، وتعد كتابته هذه رائدة في مجالها ومن المقاربات الأولى للمكان في النقد العربي .

2- بنية الشكل الروائي:

تأليف حسن بحراوي، وقد خصص أحد أبوابه الثلاثة للفضاء الروائي، ويرى بأنه:" لم تعن الدراسات الشعرية في النقد الحديث بتخصيص أية مقاربة وافية ومستقلة للفضاء باعتباره ملفوظا حكائيا قائما بالذات وعنصرا من بين عناصر النص". (Ñ)

كما يبدي وعيًا بالقصور الذي تعاني منه دراسة الفضاء الروائي في الشعرية الحديثة، ويشير إلى التجديدات التي طالت الفضاء الروائي في الكتابة الروائية الحديثة، وكيف أن الفضاء لم يعد ذيليا؛ وإنما أصبح ضروريا للسرد، الذي أصبح محتاجا لكي ينمو ويتطور كعالم مكثف بذاته إلى عناصر زمانية ومكانية.

(Ï) ياسين النصير ، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية ، ط1، بغداد ، 1986

( ) نفسه ، ص 21

(Ñ) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، ط1، بيروت 1990

٢ **جماليات المكان:** [أ]

تأليف جاستون باشلار والذي ترجمه غالب هلسا، وهو يطر ح جماليات المكان المجردة مثل العش والبيت والنافذة، ولا يتطرق بشكل مباشر إلى المكان، ولا يتعايش معه بوصفه عالما متكاملا.

وبإيجاز أعرض المنهج المتبع في الدراسة وخطة البحث.

أولا: المنهج الذي سَارت عليه هذه الدراسة.

هو منهج التحليل الفني الذي يحاول الوصول إلى الفهم الأمثل للجوانب الفنية للمكان في ضوء العناصر الأخرى التي تسهم في بناء النص الشعري

وقد سارت دراستي وفق الخطوات التالية :

أولاً: – بعون الله تعالى – تم جمع المادة العلمية من كتبها المعتمدة وترتيبها حسب فصول الرسالة.

ثانيًا: تم عمل تمهيد يوضح الأسباب الموضوعية الدافعة لاختيار شعراء بعينهم في القرن الرابع الهجري كالمتنبي ، وأبي فراس الحمداني ، وأبي العلاء المعري الشريف الرضي ، والشريف المرتضي .

ثالثًا: ذكرت أقوال الأدباء والنقاد حول المكان ومفهومه لغة واصطلاحا ومفهومه عند النقاد العرب والأجانب .

رابعًا: قمت بتوثيق الأبيات الشعرية وضبطها وردها إلى مواضعها في الدواوين مع بيان وجه الاستدلال منها في الغالب. مع نسبة الأبيات الشعرية إلى البحور العروضية.

خامسًا: وضحت الألفاظ الغامضة وبينت معناها، مستعينا في ذلك بكتب اللغة، كما قمت بالتعريف بالمصطلحات الأدبية والبلاغية .

([أ]) جاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية، ط4، بيروت 1996م

سادسًا: قمت بالترجمة للأعلام مستعينا في ذلك بكتب التاريخ والتراجم

سابعا : قمت بعمل خاتمة ضمنتها أهم نتائج البحث .

ثامنًا: قمت بعمل ملحق يحتوي على تراجم لمجموعة من الشعراء الذين وقع الاختيارعليهم كمناذج للتطبيق.

تاسعا: قمت بعمل فهرس للمصادر والمراجع العربية والمترجمة، وفهرس للمجلات والدوريات، ثم فهرس عام بالمحتويات .

عاشرا : تم عمل ملخص البحث باللغة الإنجليزية.